

الأدوات الحجاجية البلاغية في شعريوسف وجليسي أنموذجا

The argumentative and rhetorical tools in the Poetry of Youssef Waglissi as a Model

د. أولحيسان هجيرة

جامعة طاهري محمد - بشار (الجزائر)

hadjiraoulhi@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/01

تاريخ القبول: 2025/05/16

تاريخ الاستلام: 2025/03/17

ملخص:

تمتلك اللغة في داخلها الكثير من الطاقات التي يمكن للمتكلم استعمالها من أجل إقناع غيره والتأثير فيه عن طريق عرضه مجموعة من الحجج التي يوجهها رأيه ويلور فكرته مستعينا بمجموعة من الأساليب البلاغية من تشبيه واستعارات وكنائيات، فتكون حججا على صحة المعنى الذي يصل إلى المتلقي فيفهمها عقله ويقبلها قلبه. وقصدنا في هذه الدراسة البحث عن البعد الجمالي الذي يحققه خطاب يوسف وجليسي الشعري، وما لهذا البعد من موقع مهم في الحجاج يحاول الشاعر من خلاله شد انتباه القارئ واستمالاته وجعله يقبل على قراءة شعره، وذلك باستخدامه مجموعة من الأدوات اللغوية الحجاجية التي سنتطرق إليها لنستكشف دور استعمال كل أسلوب عن غيره من الأساليب البلاغية التي تحتوي في بنيتها شيئا من الحجاج.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ الشعر الجزائري؛ الأساليب البلاغية؛ الإقناع؛ يوسف وجليسي.

Abstract:

The language possesses within it a lot of energies that the speaker can use in order to persuade and influence others by presenting a set of arguments with which he directs his opinion and crystallizes his idea using a set of rhetorical methods such as similes, metaphors; to be arguments for the validity of the meaning that reaches his mind to understands them. In this study, we intended to search for the aesthetic dimension that is achieved by the Algerian poetic speech of Youssef Waglissi, because this dimension has an important position in the persuasive style, through which the poet tries to attract the reader's attention and make him accept to read his poetry by using a set of argumentative linguistic tools that we will discuss to explore The role of using each method is different from the other rhetorical methods that contain in their structure something of the argument.

Keywords: argument; Algerian poetry; rhetorical methods; persuasion; Youssef Waglissi.

1. مقدمة:

تحاول القراءة الراهنة الكشف عن الأساليب البلاغية الحجاجية في علم البيان من استعارات وتشبيهات وكنائيات، في منجز يوسف وغليسي الشعري من خلال ديوانيه الأول أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار والثاني ديوان تغريبة جعفر الطيار، الذي ما انفك يقدم كتابة شعرية تتميز بقوة الأداء اللغوي نصا وتخيلا، يبنّي على مقومات حجاجية ويقوم على أسس إقناعية سواء كانت ظاهرة أو مضمرة، تدعو القارئ إلى التأمل في كتابته الشعرية لإعادة النظر والتفكيك ومن ثم التركيب، بحثا عن جماليات هذه الصور البلاغية وما تبرزه من قيم حجاجية لتؤدي وظيفة الإقناع والإمتاع وغاياتها في شعره.

يعدّ يوسف وغليسي من شعراء إبداع في الجزائر الذين «لم يؤسسوا لبيان شعري أو يخططوا لمطاردة قصيدة ما، ولكنهم عزموا فعلا لتجاوز حال الشعر على أيدي سابقينهم شكلا ومضمونا رؤية ومنطلقا، وكسرهم الفهم السائد قبلهم الذي يربط بين الشعر والإيديولوجيا ربطا تقريريا مباشرا»¹. إذ يحفل شعره بكتابة شعرية متمردة باحثة عن نص مختلف ومتميز منفتح على عدة أشكال (الشعر الحر والعمودي وقصيدة الومضة) وواعي بمنجزات الشعرية المعاصرة وتمثله لمقولاتها ومحافظ أيضا على الأصالة الشعرية ومستفيد من تجارب الشعراء القدامى استفادة، تأبى الإنصياع لمجرد إعادة ما سبق في شكله الجاهز ولكنها أيضا «لا تصوغ حقيقته صياغة تسجيلية مباشرة، بل تستغل كل وسائل الأداء الفني من الرمز التاريخي أو شبه التاريخي ومن الأسطورة المشبعة بالدلالة، ومن عمليات الربط المعنوي بين الأبنية والتراكيب وغيرها من الوسائل»². فتستثمر هذا المعطى لصياغة مفاهيم حدثية تعيد إنتاج نص جديد يساير الواقع الإنساني وتبدلاته .

ولم يعد خافيا على أحد حاجة الأدب الجزائري إلى معاودة البحث وتجريب الأدوات وتدقيق النظر وإعادة التصنيف، في سبيل رصد تطوراته وتحديد مواقف من الإنسان ومن الحياة، ولهذا وقع اختيارنا على مدونة من الشعر الجزائري وجعلها مجالا تطبيقا للشاعر يوسف وغليسي الذي أعلن التميز في طريقة كتابته وهو صوت فرض إبداعه على الشعر العربي عامة والشعر الجزائري المعاصر خاصة بالرغم من قلة إبداعه الشعري إلا أنه أظهر تفوقه في النوعية ساعده في هذا كونه ناقدا في الساحة النقدية العربية معروف بجرأته في الكتابة الأدبية، فاستطاع أن يؤسس لنفسه حلقة علمية وأدبية، وجهاز مفاهيمي خاص به مكّنه من المزاوجة بين الكتابة الشعرية والنقدية في الوقت نفسه وهو يعد الكاتب والقارئ الأول لنصوصه الشعرية لما يكتسبه من خلفيات معرفية ومهارات فنية وجمالية ومؤهلات علمية.

أردنا من خلال هذا الاختيار أن نقرأ الشعر الجزائري المعاصر من منظور حجاجي إذ تسعى هذه القراءة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها:

- الرغبة في استكشاف الجانب الحجاجي البلاغي للخطاب الجزائري المعاصر، وفك مغاليقه، إضافة إلى حاجة النقد الجزائري لإخضاع المدونات الشعرية الجزائرية للدراسة والتحليل لتحديد المنطلقات وارتداد الأفق وإمالة اللثام على شعراء جزائريين مغمورين من بينهم يوسف وغليسي.
- تقديم قراءة معاصرة لخطابه الشعري واستكشاف العلامات المميزة فيه، انطلاقاً من البلاغة التي تفيد من الحجاج وتفعيله في نصه الشعري الذي يقوم على طاقات إقناعية.

يقوم البحث على إشكالات :

- 1- كيف وظف الشاعر الأساليب البلاغية الحجاجية في شعره وما مدى تأثيرها على المتلقي؟
 - 2- ما هي أهم هذه الأساليب الحجاجية البلاغية؟ وهل يمكن لها أن تكون حجة وثبت قدرتها الإقناعية؟
- استعنا بالوصف والتحليل في هذا البحث واعتمدنا البلاغة كإجراء لمقاربة النصوص لإمتلاكها مقدرة على بناء نص حجاجي من خلال استخدام الشاعر لأساليبها البلاغية المتنوعة، وفق تقنيات لغوية مختلفة يحكمها الطابع الخيالي الذي يزيد النص الشعري حجة وجمالاً ويستقطب أكبر عدد من القراء
2. البلاغة ودورها الحجاجي:

نعني بالأساليب البلاغية كل الصور والوسائل الكلامية، التي تندرج تحت باب البلاغة وفنونها المختلفة من بيان المتمثل في الاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها من الوسائل التي تمكن من تأدية المعنى المراد بأحسن الألفاظ وأجمل الصيغ والتراكيب، مما يمكنها من إضفاء مسحات جمالية وقيم أسلوبية تثير الخطاب.

ترتبط البلاغة بالحجاج* عن طريق اعتمادها لتقنيات في عملية الإقناع وهذه الخاصية الإقناعية في البلاغة جعلت اختيار الحجج يتحدد بعنصرين اثنين هما³:

- أولاً: الإنطلاق من المعطيات التي يمتلكها المتلقي حتى يتسنى إقناعه بشكل تراكمي للحجج.
- ثانياً: مراعاة المقام وذلك لأن الحاجة لا تأتي أكلها إلا اعتمادنا على حجج* مضادة للحجج التي يركز عليها الخصم، في بناء خطابه.

تمتلك البلاغة قوة إقناعية تأثيرية في دراستها لجماليات اللغة، التي لا تنحصر بها فحسب لأنها فضلاً عن هذا «هي فلسفة تفكير وثقافة للمجتمع وأسلوبية للحوار، وهذا سرّ اكتسابها تلك الطبيعة المزدوجة التي تجمع بين الأساليب الحجاجية والتفكيرية التأويلية على مستوى الملفوظ والمكتوب، إذ لم تعد تهتم بتحليل النصوص فحسب بل إتناجها أيضاً»⁴. وإن

تلك الأساليب البلاغية هي «وسيلة أساسية من وسائل الإقناع ولعل في اختلاف مستويات التلقي، ما يؤكد هذه الصفة الحجاجية للخطاب البلاغي وذلك يجعل أي قول مدعماً صالحاً أو مقبولاً بمختلف الوسائل ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية، على اعتبار هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة التأثير من خلال قوتها الكلامية»⁵ عبر طرائق منطقية في البناء وترابط العلاقات الإستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها.

البلاغة في علاقتها مع الحجاج تهدف «إلى إمتلاك التقنيات الخطابية وتسعى إلى إثارة النفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج كما تهتم البلاغة أيضاً، بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور»⁶. وللأساليب البلاغية دوراً حجاجياً يتمثل في «دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم على تنوع كثافتها»⁷. فتسعى هذه التقنيات البلاغية إلى حث النفوس على التسليم بالأساطروحات المعروضة عليها.

ولتقوية ذلك التسليم فعلى المتكلم أن يكون مقتنعاً بفرضيات ما يخاطب به غيره حتى يستطيع إقناعهم وإحداث التغيير في متلقيه إضافة على ذلك عليه معرفة مستويات من يخاطب فعلى المحاجج «أن يضع في الحسبان مستوى العقول التي يهدف إلى إقناعها وكذلك على الوعي بنوعيتها والتركيز على الجوانب الإستدلالية التي تستعمل على تعاضد العقول المخاطبة، وانسجامها مع الطرح المقدم»⁸ والبلاغة عبر أساليبها ليست معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيم الجمالية فقط، وإنما هي أيضاً وسيلة للإقناع مع الإبداع حيث «يقنع المتكلم مخاطبه برأيه ويجعل حججه حاضرة بين يديه وعليه تتعدى البلاغة دائرة الإبهام والتلاعب بالمتلقي»⁹. إلى توظيف تقنيات تحقق هدف الإقناع والتأثير وتقوم بتأدية هدف في اللحظة الحجاجية، في البنى القولية الخطابية من جمل وإشارات.

تعد الأساليب البلاغية من زخارف بيانية ومحسنات بديعية ذات صلة وثقى بالحجاج، ووسيلة للإقناع كما أنها تبحث في استعمال الخطاب الشعري من أجل أن يكون مؤثراً بما هو معرفي وأدبي، ف وراء كل بلاغة حجاج لأن مدار كل منهما الإغراء وإيصال فكرة معينة بعدة طرق لغوية للمتلقي إذ البلاغة تمنح للخطاب بعداً مشوقاً وغايات جمالية حجاجية.

3. الصورة الحجاجية البلاغية في شعر يوسف وغليسي:

1.3 الإستعارة:

فرضت الإستعارة هيمنتها على سائر الخطابات الإنسانية سواء كانت أدبية أو غير أدبية وعبرها يقوم مستعملها بنقل معنى حجة وبهذا تكون الإستعارة ضرباً من الحجاج كما أن قوة الحجج في المفردات، تبدو في الإستعمالات اللغوية التي تستعمل الإستعارة من خلالها وهي في منظور عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة «الإستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمل الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم»¹⁰. وقد وظّف الشاعر هذا النوع من الصور في ديوانه من خلال قصيدته بعنوان تغريبة جعفر الطيار¹¹:

وتقيأتني الأرض إذ شربت دمي....

كل الدروب إليك مفضية لأنك

ملجأ الأحرار من كون العبيد ..

هاجرت من جسدي الشهيد إليك روحا

لاجئاً يا أيها الملك السعيد ..

اعتمد الشاعر في هذه الاستعارة على التشخيص فأسند إلى الأرض صفة من الصفات الإنسانية وجعلها محسوسة في لفظة (شربت وتقيأت) استعار صفة التقيؤ حذف المشبه هو الإنسان وأبقى على قرينة دالة عليه وهي التقيؤ والشرب وهذه استعارة مكنية جاءت حجة لوصف مرارة الواقع في فترة العشرية السوداء، علماً أنّ ديوان يوسف وغليسي "تغريبة جعفر الطيار" هو ثاني كتابة شعرية له بعد ديوانه "أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" ويعدّ رحلة من رحلات الغوص في الجراح النازفة للوطن في فترة العشرية السوداء وكل قصيدة فيه بذاتها هي مسيرة جراح الشعب الجزائري ووطنه والشاعر في ديوانه، يستخدم أساليب البلاغة كدليل وحجة لإيصال صوته وعرض بلغة حية تعبر عن ألم وأمل هذه الأمة والبحث عن مصير أفضل. وهذه الصورة الاستعارية ما هي إلا انثيالات جمالية لمديات متشابكة مع الواقع المحزن في تلك الفترة الدموية يحاول الشاعر من خلالها أن يؤثّر ويؤطر محبطاً تلك الصورة الراسخة في ذهن المتلقي ليترجم مشاعره الإنسانية وروحه الوطنية ويهرب منقساوة ذلك الوضع الراهن ويحاول اللجوء كما جاء في قصيدته نحو رؤية لا تشوبها الضبابية. ويتخذ من الاستعارة حجة أخرى للتعبير عن أحزانه وجعل المتلقي ينفعل معها قوله في قصيدته "إلى أوراسية"¹²:

فيسقط الموج مغشياً عليه جوى

ويصمت الريح من أوجاعه وجلا

ويسكر البدر من جراء أسئلتي

فيرتمي القلب في أحضانه ثملا

هذه مجموعة من الصور الاستعارية تظهر جمالياتها في تصوير الشاعر تضمين كل جزء منها موصوفاً الموج، الريح، البدر وإعطائها بعداً إنسانياً ومنح لكل لفظة صفة من صفات الإنسان، أدت هذه الصورة الاستعارية دوراً جمالياً وحجاجياً يظهر من ذكر الشاعر لعناصر الطبيعة من رياح وأمواج وبدر بعدما تلون بريقها وبدرها بالدماء والمناظر البشعة التي حولت الطبيعة في الجزائر إلى حصد الرؤوس بدل قطف الورود وهذه الصورة الاستعارية جاءت كنتيجة لكثرة المعاناة وتوالي الأحزان وشدة الفاجعة والفتنة بحيث خيم الصمت ونطق مكانه صوت الرصاص والقنابل وقد ساهمت في تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي وشده.

ومن الصور الاستعارية المعبرة والمؤدية لوظيفة الإقناع والإمتاع قوله في قصيدة من ديوانه "أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار" عنوانها "حلم من أوجاع الزمن الأموي"¹³:

فأنبأ الغيم أن شمساً وراءه قادمة

لتسحق هذا الشتاء الطويل الثقيل الذي خان سير الفصول

وحدثنا الكون عن قمر سوف يفضح هذا الظلام

تتجلى جمالية الاستعارة في المقطع الأول حيث جعل الغيم في صورة إنسان يستطيع أن يتكلم ليجسد المعنوي في صورة مادية وترك قرينة تدل عليه في لفظة أنبأ من باب الاستعارة المكنية وتكشف صورتها أيضاً في جعل الكون يتحدث وهي من صفات البشر وهذا التصوير حجة مفادها أنه رغم الظروف القاسية ومرارة الواقع إلا أن بزوغ الشمس والسلام قريب وسوف يحجب هذا الظلام مهما اشتدت الصعاب وبريق الأمل يلوح في الأفق بأن تحيا الجزائر وبنام شهدائها في أرضها بأمان.

وتتكثف صور الاستعارة وتتوالى لتحقيق غايات إقناعية قوله في قصيدة "إسراء إلى معارج الله"¹⁴:

صفصافة العمر لا زهر ولا ثمر

صفصافة العمر لا دنيائي .. لا ديني

الريح تقصفها .. والموج يصفعها

ويلاه ويلاه و الإبحار يغربني

تنهد الصخر من حزني ومن ندمي

يا غافر الذنب إن الذنب يخزيني

دنيائي .. دنيائي قد أسكرتني مهلاً

هذه مجموعة من الاستعارات المكنية في قول الشاعر الريح تقصفها وتنهد الصخر حيث جعل الشاعر من الصخر وهو شيء جامد إلى إنسان يتألم ويتنهد ويحزن، وهذه الصفة جاءت كحجة لتؤكد أن الإنسان قد يخطئ وباب التوبة مفتوح وكثرة الذنوب تؤدي نتيجة هي الجري وراء ملذات الدنيا، هذه الصور تؤدي معاني عديدة وتم تصويرها بطريقة حجاجية تجعل المتلقي يتعاطف مع الشاعر ويتفاعل مع قصيدته.

2.3 التشبيه:

لا يخفى الدور البياني الذي يلعبه التشبيه في إبراز الجوانب الحسية لإضفاء صورة جمالية تعكس براعة المتكلم وبلاغته وتستعمل كشاهد أيضا لأن التشبيه غرضه التوضيح وتقريب المعنى والإقناع، الذي هو غاية كل حجاج ويعد التشبيه «علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما واشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال هذه قد تستند إلى مشابهة حسية وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة»¹⁵ فنجد الشاعر يستعمل هذا النوع من الأساليب البلاغية في قصيدته عنوانها "نشيج الوداع" قوله فيها¹⁶:

وقفت كطير بالحنين مسربل

على صفة الذكرى أناجي ليالينا

صقيع من الأحزان لف جوانحي

تناثر في ذكري سما وغسيلنا

زرعتك وردة بالفؤاد وريدة

لتقطفك الأيام يوما بساتينا

حملتك حيزبة بقلبي رصاصة لتفزعني حيناً فتقصفي حيناً

ستجمعنا اللقيا غداة فراقنا وترقع دعوانا بيانا وتبيننا

تستوقفنا في الصور تشبيهات أسهم حضور الأداة وهي الكاف في لفظة طير وغياها في كلمة رصاصة في جعل علاقة المشابهة بين مكوئيهما البعيدين قريبة جدا لقد نوع في صورته بين تعالق الحسي بالحسي وتراسل الحسي بالمادي وعليه نلمس سمة الحركة والتفاعل التي تهيمن على التناسب والتطابق في هذه الصور الأولى تشبيهه لنفسه بالطير والثانية يشبه قلبه بالرصاصة وما زاد تلك الصور حجة وتأثيرا في المتلقي تلك المسحة الرومانسية التي كتبت بها وهذا يؤدي إلى التراسل النفسي والروحي بين الشاعر وحببته واختياره لألفاظ حجاجية تعبر عن اشتياقه لها مع استرجاع ذكرياته التي باتت حلما يؤرقه وكان حضور الأساليب البلاغية البديعية في هذه المقاطع متعاظدا مع الصور البيانية من خلال الطباق في المقطع الأخير قوله ستجمعنا التي تتضاد مع كلمة فراقنا واستعماله الجناس في كلمة بيانا وتبيننا، وهذه الأبنية من بيان وبديع أوضحت الدلالة وحقق في ذهن المتلقي إمتاعا وإقناعا وتأثيرا فيزداد الكلام بها جمالا وقيما فنية تفاجأ المتلقي في كثير من الأحيان.

ويتجلى التشبيه أيضا في قوله في قصيدته عنوانها "عائد من مدن الصقيع"¹⁷:

آملنا عبر الدروب تناثرت

ودرونا مثل الديار خراب

وجراحنا تزداد ثخنا قاتلا

فيردد الجرح الثخين عذاب

وهومنا كالغيم تسمو في العلا

فيترجم الغيم الكثيف سحب

هذه نماذج من التشبيهات حيث يشبه الشاعر الدروب بالديار وأيضاً يشبه الهموم بالغيوم والمشبّه هو الذات الشاعرة أما المشبه به فتستدعيه حركية النفس ويقتضيه الموقف المعبر به، وكل هذه التشبيهات هي حجة تبين عن عمق الجراح الذاتية والوطنية وكثرة الهموم كالغيوم التي لم تعد تخطر إلا الدموع وهذا التشبيه أضفى جمالا على الأسلوب إضافة إلى القاموس اللغوي تلك الروح المتألّمة والشجنة والثائرة التي تتدفق من عباراته الشعرية ومن ثم يقع الإقناع وشد القارئ من خلال تعالق روح الشاعر بروح المتلقي وتفاعلها حيث يلتقيان في نفس الظروف المحيطة بالوطن في فترة العشرية السوداء و يتقاسمان نفس الأوجاع.

ومن بين هذه التشبيهات التي وظفها الشاعر قوله في قصيدة "تجليات نبي سقط من الموت سهوا"¹⁸:

كان لي وطن ضارب في دمي

راسخ في امتداد الزمان

سامق في السماء

شامخ كالنخيل

فارح كالصنوبر والزان والسنديان

شبه الشاعر الوطن بالنخيل والصنوبر وهذه التشبيهات اشتملت على أركان التشبيه من مشبه وأداة التشبيه ومشبه به لتؤدي وظيفة حجاجية مفادها شموخ الوطن وأصالته الضارب بعروقه في امتدادات التاريخ، وهو تشبيه كحجة للتذكير بالثورة الجزائرية وقوتها التي ألهمت بنيرانها فرنسا وكيف أصبح الآن تقاتل أبنائها في تلك الأيام وذهاب كل ما ضحي من أجله في سبيل تحقيق النصر هذا التشبيه فيه نوع من الحسرة وكلما احتد الانفعال في التعبير لدى الشاعر تقرب المتلقي من النص الشعري واقنعت بمضامينه ومعانيه المطروحة.

وفي الصورة الآتية مستوى جمالي مقبول تحقّقه في هذه القصيدة قوله¹⁹:

فيغلبني الدمع .. يجرفني في خراب المدى ..

كنت وحدي طريح النوى، مثل غصن حقير

على الأرض ملقى..

يشبه الشاعر نفسه بالغصن وهذه الصورة التشبيهية عبّر عنها الشاعر بطراز إيحائي في كلمة غصن حقير هل يوجد غصن حقير في الواقع ففي تعبيره خرق المألوف فتكون حجة استدعتها الحالة النفسية والشعورية والمواقف وفرضتها كوسائل تعبير عن الدفقة الوجدانية تستكشف عن مدى قسوة الوحدة والغربة داخل وطنك من كثرة الجراح والخراب في ذلك الوضع المفروض، والتشبيه بالنسبة للشاعر هو من أجل «التعبير عن المعاني المجردة عما هو خفي بالتمثيل الحسي قصد إفهام المتلقي»²⁰ وهي قبل كل شيء وسيلة لتقرير معاني في النص الشعري ومحاولة إقناع المتلقي بها وأداة تتيح لقصائده تكتيفا دلاليا.

3.3 الكناية:

تعدّ الكناية من الأساليب البلاغية التي يصعب الوصول إلى معناها الحقيقي المراد وعلى الرغم مما يظهر أحيانا من بساطتها لأنها «لأنها تتلبس الكلام والتركيب اللغوي ويبقى السياق هو الكفيل بايضائها بشكل أساس كما عهدنا التشبيه بارزا ولا كما هي الاستعارة وظاهرة الكيان الدلالي»²¹، فيحاول المتلقي البحث عن المعاني الخفية في الشعر من أجل فك رموزها.

ويستخدم الشاعر هذا النوع من الكناية قوله في قصيدته "تغريبة جعفر الطيار"²²:

أنا ذو الجناح، كما ستعلم سيدي

الليل عمر موطني،

والبرد لف جوانحي

وأنا هنالك في الضحى

متشبت بالنور.. بالشمس المصادر دفوها

بالدفع في وطني المكبل بالجليد

تظهر الكناية في هذه الأسطر من خلال العبارة الليل عمر موطني والبرد لف جوانحي دون الإفصاح عن المعنى الخفي الذي يترك للمتلقي ليملأ فراغه استكشاف دلالة المعاني التي يستعملها كروية تولد علاقات جديدة بين الألفاظ المعلنة والمضمرة التي هي في هذه القصيدة كدلالة حجاجية تعبر عن الأزمة التي شهدتها الجزائر في الفترة الدموية، ما يصطلح تسميتها بفترة العشرية السوداء واستعمال الشاعر لألفاظ الليل، والبرد، الجليد تؤدي لنتيجة واحدة وهي تأزم الأوضاع وعدم إيجاد الحلول السريعة ومن يقرأ هذه الأسطر الشعرية في القصيدة يقول القارئ من خلالها عدة دلالات وإيحاءات يمكن أن يولد نوعا خاصا جدا من المعنى يفهم من التراكيب اللغوية التي يريد الشاعر من القارئ مشاركته في التأويل.

وفي القصيدة نفسها يجسد الشاعر يوسف وغليسي هذا النوع من الكناية الذي يتضمن اللغة داخل اللغة والمعاني داخل المعاني قوله²³:

إني أتيك من بلاد النار..

من وطن الحديد

شيعت أحلامي وأحبابي.. صباي

وكل ما ملك الفؤاد.. وجئت كالطير

المهاجر أبغني وطنا جديدا

الكناية تؤكد نفس في كل الصور في القصائد الشعرية وفي الديوان ككل وهي محاولة تصوير المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري في وطنه البعض منهم في تلك الفترة أصبح لاجئا في دول أخرى لهول الكارثة والخوف من المجهول والهروب من الموت الذي قد يباغتك غدار فالكل كان مستهدفا. والشاعر هو لاجئ بكلماته الشعرية يبتغي من خلالها تغيير الراهن المفروض وتجاوز الأزمة الشاعر يصور عبر كنياته أن هذا الوطن هو من الحديد كروية استشرافية من الشاعر على أن هذا الوطن عبر تاريخه الطويل وشعبه الصابر والمؤمن بقدره قادر على تجاوز الصعاب وكل هذه الأوجاع ستزول وهذا ما يظهر جليا في قول الشاعر في قصيدته "تجليات نبي سقط من الموت سهوا"²⁴:

قل إني تشبهت بالنخل، ما مت ..

ما ينبغي أن أموت

أتسامي كما الروح، فوق الرياح، وفوق الزمان

وفوق المكان، وفوق الحكومة والبرلمان،

وسوف أحط من الملكوت ..

سأعود غداة تزلزل تلك الممالك زلزالها

وجبال الزبربر تخرج أثقالها

ويعود الحمام إلى شرفات البيوت

جاءت هذه الكناية لا لتمثيل الوقائع وإنما كحجة لتدعيم فكرة تريد أن تجد قبولاً لدى المتلقي وهي بث روح التفاؤل والأمل والتحدي للبقاء والاستمرار من خلال عبارات ما ينبغي أن أموت وكلمة سوف أعود وأيضاً عبارة ويعود الحمام إلى البيوت ولتجسد أيضاً فكرة رفض الظلم وتجاوز الشعور بالعدمية والفناء المسيطر في ذلك الوقت والبحث عن الهدوء والسلام

4. خاتمة:

الهدف المرجو من هذا البحث هو الكشف عن حجاجية الأساليب البلاغية المتمثلة في كل من الصور الاستعارية والتشبيه والكناية، ومعرفة قيمها الجمالية بكل مقوماتها وأبعادها الدلالية في شعر وغليسي حيث أضحت هذه الصور من أهم الدعائم الأساسية للشعر لما لها من علاقة وطيدة بالتجربة الشعرية وتعبر عن رؤية وتطلعات الشاعر المعاصر وتسعى لإثارة القارئ وجعله يتفاعل مع النص الشعري ويحاول مقارنته، بكل ما يملك من حمولات فكرية وطاقات معرفية. تعد نصوص يوسف وغليسي الشعرية فضاءاً رحباً مشبعاً بالدلالات التي تحتاج قارئاً متمرساً قادراً على الغوص في معانيها الواضحة والغامضة في النص وهذه الأساليب البلاغية التي تطرقنا إلى جانبها البياني من استعارات وتشبيهات وكنائيات وجدناها تحملت أعباء المعنى العام لدواوينه وقدمت، تجربة شعرية تعكس انفعالات الشاعر الذي حاول تصوير مشاعره وأحاسيسه، من خلالها بأساليب بلاغية واستراتيجيات حجاجية لغوية تكتسب بعدها من الأحوال النفسية والشعورية، للخطاب الشعري وفق معطيات معينة من النص الشعري وهي حجج مستنبطة من الواقع في فترة العشرية السوداء كان لها دور بارز في تصوير الأحاسيس التي تصل إلى المتلقي الذي عايش الأحداث في تلك الحقبة الزمنية الصعبة وإلى الذي لم يعايشها فتفتح آفاقاً دلالية أمامه تدفعه إلى الممارسة التأويلية، والشاعر أخرج هذه الصور البلاغية من سياقها المألوف لإضفاء عمق أكبر للمعنى فأفصحت عن أحزانه وأحزان وطنه وجراحه في تلك الفترة الصعبة الدموية التي مر بها الوطن أثناء التسعينيات.

كون أن نصوص يوسف وغليسي الشعرية ولدت في ظروف صعبة وقاسية، لا يمكن إلا أن تترك بصمتها على صوره الشعرية وطوباعها العامة بلغة بعيدة عن التقريرية والتسجيلية والمباشرة إلى لغة ممزوجة بالخيال والإنزياح الكاسرة لأفق توقعات المتلقي وهي تجربة شعرية جزائرية معاصرة جمالية جديدة بالقراءة والمتابعة.

5. الهوامش:

- ¹ - نسيمه بوصلاح، تحلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط1، دار هومة، الجزائر: 2003، ص 3.
- ² - إسماعيل عز الدين، الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، ط2، دار العودة، لبنان: 1986.
- * - الحجاج في اللغة العربية هو معناه حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ويقال حاجه محاجة وحججته أي مغالته بإظهار الحجة التي تعني الدليل والبرهان. مأخوذ من ابن منظور، لسان العرب، المجلد 2، ط1، دار صادر، مادة حجج، لبنان: 1990، ص 32.
- ³ - ناعوس بن يحيى، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد 47، الجزائر، 2019، ص 9.
- ⁴ - سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان: 2002، ص 9.
- ⁵ - عشير عبد السلام، إشكالات التواصل والحجاج مقارنة تداولية معرفية، أطروحة دكتوراه دولة، المغرب: 2000، ص 69.
- ⁶ - صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، صفحات للدراسات والنشر، سوريا: 2008، ص 50.
- ⁷ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت: 1992، ص 74.
- ⁸ - محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ط1، المركز العالمي للدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، ليبيا: 2004، ص 18.
- ⁹ - تكتك إكرام، الحجاج والبلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد 31، أدرار، ص 29.
- ¹⁰ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، دار ابن الجوزي، مصر: 2015، ص 17.
- ¹¹ - يوسف وغليسي، تغرية جعفر الطيار، ط2، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، فسنطينة: 2003، ص 44.
- ¹² - المرجع نفسه، ص 60.
- ¹³ - يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، ط1، دار إبداع، 1995، ص 85.
- ¹⁴ - المرجع نفسه، ص ص 82-83.
- ¹⁵ - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 72.
- ¹⁶ - يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، ص ص 28-29.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ص 23.
- ¹⁸ - يوسف وغليسي، تغرية جعفر الطيار، ص 36.
- ¹⁹ - المرجع نفسه، ص 29.
- ²⁰ - نواره ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر: 2008، ص 93.
- ²¹ - فايز الداية، جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، ط2، لبنان: 1996، ص 123.
- ²² - يوسف وغليسي، تغرية جعفر الطيار، ص 43.
- ²³ - المرجع نفسه، ص ص 42-43.
- ²⁴ - المرجع السابق نفسه، ص 41.

6. قائمة المراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، ط1، المجلد 2، (لبنان: دار صادر، 1990).
- إسماعيل عز الدين، الشعر المعاصر في اليمن الرؤية والفن، ط2، (لبنان: دار العودة، 1986).
- تكتك إكرام، الحجاج والبلاغة الجديدة، مجلة الحقيقة، العدد 31، أدرار.
- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ط3، (بيروت: المركز الثقافي العربي).
- سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، (لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2002).
- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، (سوريا: صفحات للدراسات والنشر، 2008).
- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1992).
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، (مصر: دار ابن الجوزي، 2015).
- عشير عبد السلام، إشكالات التواصل والحجاج مقارنة تداولية معرفية، أطروحة دكتوراه، (دولة المغرب: 2000).
- فايز الداية، جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، ط2، (لبنان: دار الفكر المعاصر، 1996).
- محمد ولد الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، ط1، (ليبيا: المركز العالمي للدراسات أبحاث الكتاب الأخضر، 2004).
- ناعوس بن يحيى، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد 47، الجزائر، 2019.
- نسيم بوضلاح، تحلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، ط1، (الجزائر: دار هومة، 2003).
- نواره ولد أحمد، شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس، (الجزائر: دار الأمل للطباعة والنشر، 2008).
- يوسف وغليسي، أوجاع صفصافة في مواسم الإعصار، ط1، (دار إبداع، 1995).
- يوسف وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، ط2، (قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2003).